

فاعلية أدب اللافتات في رواية اختفاء السيد لا أحد
لأحمد طيباوي أنموذجا

*The effectiveness of sign literature in the novel
The Disappearance of Mr. Nobody by Ahmed
Tibawi is an example*

إلياس قاضي*

جامعة وهران 01 أحمد بن بلة

وهران / الجزائر

Kadi.ilias@edu.univ-oran1.dz

تاريخ الارسال: 2024/02/25 تاريخ القبول: 2025/09/25 تاريخ النشر: 2025/12/27

الملخص:

الرواية الجزائرية تعرف انفتاح كبير على مختلف الأشكال الأدبية، فتوظيفها يعطي للمتن قيمة أكبر ويحفظه من التكرار، وذلك بتنوع الأساليب التي تنطق بها شخصيات الرواية وتتفاعل مع أحداثها بتعابير مغايرة، تكسر المألوف ومن ثمة كان التناسل آلية مهمة، حيث عمد إليه أحمد طيباوي في روايته الموسومة "اختفاء السيد لا أحد" فقد بدا من خلال استحضاره لفن الحكمة، واعيا بالواقع العربي بشكل عام والجزائري على وجه الخصوص، -فبين الفينة والأخرى- يفجئنا بهذه اللافتات ذات المعنى العميق والتي جمع فيها بين المتعة والفائدة، فمن خلالها يثقف القارئ، ويفتح أمامه نوافذ أخرى تعنى بالنفس البشرية وخصائصها، فهذه الحكم التي أوردها شملت جوانب اجتماعية ونفسية وأخرى دينية وفلسفية .

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل هذه المقولات ضمن سياق النقد الثقافي، ودعوة المتلقي إلى العناية بها

لما لها من فضائل جمة

الكلمات المفتاحية: الرواية الجزائرية، الأشكال الأدبية، أدب اللافتات.

Abstract:

The Algerian novel is known for its great openness to various literary forms. Using them gives the text greater value and protects it from repetition, by diversifying the ways in which the novel's characters speak and interact with its events with different expressions, breaking the norm. Hence, intertextuality was an important mechanism, as Ahmed Tibawi resorted to in his tagged novel.

“The Disappearance of Mr. Nobody.” Through his evocation of the art of wisdom, he seemed aware of the Arab reality in general and the Algerian reality in particular. From time to time, he surprises us with these signs that have a deep meaning and in which he combines pleasure and benefit. Through them, he educates the reader and opens other windows to him. It is concerned with the human soul and its characteristics. This ruling that he cited included social, psychological, religious, and philosophical aspects.

This study aims to analyze these sayings within the context of cultural criticism, and to invite the recipient to pay attention to them because of their many virtues.

Keywords: The Algerian novel, Literary forms, Sign literature.

مقدمة:

تُعَدُّ المؤسسات الفندقية من أهمّ عوامل الاستقطاب السّياحي، وتشكل الخدمة الفندقية حجر الزاوية في بناء الميزة التنافسية لهذه المؤسسات. وفي هذا السياق برزت مفاهيم حديثة في التسويق والاتصال، من أبرزها مفهوم لغة الخدمات (Services Language)، التي تُعَدُّ من الوسائل الفعّالة في التأثير على النزلاء وإقناعهم. كما أولت الدراسات اهتمامًا متزايدًا بتأثير الكلمة المنطوقة (Word of Mouth) على القرارات الشرائية للنزيل، إذ قد تكون في كثير من الأحيان أكثر أدوات الترويج تأثيرًا، على الرغم من كونها من الأدوات الأقل استثمارًا من قبل المؤسسات.

كم نحن؟ بحاجة إلى المزيد من علم النفس، بل نحتاج إلى الكثير لفهم الطبيعة البشرية، لأن الخطر الوحيد الموجود هو الإنسان نفسه، إنه الخطر العظيم ونحن نجهل ذلك بشكل يدعو إلى الشفقة، لا نعرف شيئًا عن الإنسان إلا القليل فقط، يجب دراسة نفسيته لأننا أصل كل الشرور.

هكذا بدت رواية اختفاء السيد لا أحد لكتابتها أحمد طيباوي ثائرة على المجتمع وما يقدمه من نماذج سيئة الطباع جرت على لسان شخصياته المختلفة، التي عكست واقع المثقف في الوطن العربي بشكل عام والجزائري على وجه الخصوص، رواية تميزت بواقعية حادة ونفس تشاؤمي مثل المأساة في أسوأ صورها.

بطل هذه الرواية لم يعرف القاع حتى يرتاح على الأقل فأقلق المتلقي بسؤال فحواه

أين يختبئ الأمل؟

إن انفتاح الرواية على أجناس أدبية مختلفة من خلال الإنكاء على خصيصة التناص أبان عن حيويتها وقدرتها على احتضان جل طرائق التعبير، فهذه الرواية ترصعت بفن القول، ممثلة في لافات حملت في تضاعيفها حكما كانت بمثابة نوافذ يتنفس منها بطل هذه الرواية، فيلفاها القارئ كحبات بلور يتوقف عندها ويتأمل حسن معانيها فتعرفه بحقيقة من حوله . تهدف هذه الورقة البحثية إلى تفكيك هذه اللافات وتحليلها فهي لم تدون عبثا، بل خصها أحمد طيباوي بكثير من الإهتمام إذ أن عددها تجاوز المئة، فدل على قصدية بالغة، فاخترت منها ما كان جليل المضمون.

الكاتب خاض من خلال هذه اللافات أروقة شتى كالجانب الديني حيث شكل الموت والقدر جذوة مثيرة للعقل البشري، والجانب الاجتماعي الذي قرب من خلاله صورة المجتمع الجزائري المعاصر وغيرها من الجوانب وقد اكتسبت جل هذه اللافات سحنات نفسية متنوعة. وعليه نطرح مجموعة من الأسئلة : ما المراد بأدب اللافات ؟ وهل استحضارها حقق تماسكا للنص الروائي ؟ وما الموضوعات التي شغلها ؟ وكيف كانت لغتها ؟ .

أولا / تقديم مختصر للرواية

الكاتب أحمد طيباوي من " مواليد 8 يناير 1980 بعين بوسيف في ولاية المدية، هو كاتب روائي جزائري وأستاذ بجامعة فرحات عباس، حاصل على دكتوراه في إدارة الأعمال من جامعة البليدة في أبريل 2016.

تعد رواية اختفاء السيد لا أحد من أهم الأعمال الروائية الجزائرية المعاصرة فقد حاز بفضلها على جائزة نجيب محفوظ للأدب لعام 2021²

لغة الرواية شيقة، سهلة وممتعة، جاءت في حدود مئة وعشرين صفحة عن منشورات دار الاختلاف، جنباتها حملت أحداثا كثيرة ومتنوعة، جوهرها الواقع المأساوي للمثقف في الوطن العربي فعرض، هذا الحكي شخصيات تسحق بعضها البعض ولا تعترف بالشهادات فالوساطة والمحسوبية والاستغلال، هي قنطرة الأحلام، إذ أن كل شخصية في هذه الرواية سخرت ما تملكه لصالحها فمراد عن طريق المال وظف صديقه لخدمة أبيه، والإمام استغل سلطته الدينية كي يجني المال ويوفر حيزا أكبر لرغباته عن طريق الرقية الشرعية، أما بطل هذه الرواية لم يكن له شيء فاستلذ بالغياب حيث بدا مسلوب الإرادة، فكثيرا ما كان يعبر عن نفسه بأنه لا شيء سوى ما أراده المجتمع، أحداث الرواية تسرد وضعية هذا البطل مع عجوز

فقد ذاكرته، وهو أب لصديقه الذي هاجر إلى ألمانيا، وطلب منه أن يتكفل به مقابل مبلغ زهيد، في شقة صغيرة متسخة يقضي فيها معظم وقته شارباً للخمر، فهي المكان الرئيسي الذي كان يسترجع من خلاله ذكريات قرية سرج الغول، وأحداث العشرية السوداء. بعدها ينتقل بنا إلى المستشفى ويصفه بالكارثي مركزاً على وضعية المرأة الموظفة، فمثل هذا الدور شخصية الممرضة التي أبدت إعجابها به، وفي الختام يصور لنا تفاعل النفس البشرية مع الموت حيث أرانا الكاتب وجهاً آخر للمقبرة، وكيف كانت جنازة الشيخ مقلقة ثم نهاية كل شخصية تقريباً، إذ أدى طرد المكتبي عثمان من المحل إلى الانتحار، أما العم مبارك فقد اختفى أياماً ثم وجد مقتولاً ومشوه الوجه، أما الامام فقد تم ترقيته وتمكنت الممرضة من الظفر بالشخصية المجهولة والتي نرى أنها السيد لا أحد الذي لم يصرح بنفسه طوال أحداث هذه الرواية.

ثانياً / أدب اللافتات

طالما ارتبطت البلاغة بالإيجاز وإصابة المعنى دون إطناب، فنجم عن ذلك أشكال أدبية اهتمت بهذا الشأن منها المثل وفن الحكمة وكذا الرسالة خاصة البرقيات، ونجد كذلك فن الإشهار والنكت، كلها تقريباً تعتمد في متنها على الإيجاز، وفي العصر الحديث نجد هذا الأسلوب في التعبير قد مس فن القصة، إذ انشق عنها ما يعرف بالقصة القصيرة والقصة القصيرة جداً، وهناك من سعى هذا النوع من الأدب بالومضة أو أدب الكف أي بقدر ما يكتب في كف اليد، بل و مس هذا الاختصار حتى فن الشعر مثل لافتات أحمد مطر.

تعرف الحكمة على أنها "كنز من التجارب الإنسانية التي مرت على المجتمعات من قديم الزمان تجلت في حوادث و مواقف، استطاع العقل البشري أن يصوغها بجمل قصيرة، ومكثفة الفكرة تدل على استيعاب الإنسان لهذه الحالة، وإدراكها والفتنة لها ومن ثم صياغتها بطريقة أدبية وبلاغية"³

إن فن اللافتات وإن كان يتقاطع مع هذا المفهوم الذي ذكرته عن الحكمة إلا أنه يختلف عنها في جوانب شتى منها:

- 1/ يرى الدكتور عبد المجيد قطامش في كتابه الأمثال العربية أن الأقوال والتعبيرات والمثل فهي كلام قائم بذاته تختلف عن الحكمة إذ تفتقد للتشبيه إلا ما ندر "⁴.
- 2/ تتميز الحكمة بالشهرة والانتشار الواسع بخلاف اللافتة لأن الأولى ترتبط بحدث مشهور استخلصت منه هذه الحكمة بخلاف اللافتة التي تكون رأياً شخصياً في الغالب.

- 3/ تعبر الحكمة عن قيم المجتمع وتكسب قوتها من خلال تفاعل الجمهور معها بخلاف اللافتة التي قد تكون مجرد تساؤل أو خواطر نفس لا يتفق الناس عليها.
- 4/ عادة ما تتداول الحكمة شفاهيا بشكل كبير بخلاف اللافتة التي تأخذ طابعا إعلاميا حيث عرفت انتشارا رهيبا على مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة.
- 5/ تعبر الحكمة عن عدة أجيال فهي تعمّر طويلا بخلاف اللافتة فهي أنية تعبر عن الواقع المعاش فقد لجأت إليها الجماهير كوسيلة للتعبير في المظاهرات والاحتجاجات والثورات وقد اعتمد الروائي أحمد طيباوي على هذا الأسلوب المختصر فكان بين الفينة والأخرى يكسر السرد بلافتات قصيرة المتن مركزة المعنى، فهي زبدة للواقع المرير، أراد من خلالها أن يرفع مستوى الوعي لدى المتلقي فيدرك حقيقته وحقيقة من حوله.

ثالثا/ المضمون الديني

عالج الكاتب في هذه اللافتات موضوعات دينية عميقة وهامة، ممثلة في الموت والقدر وما يدور في فلكهما من أسئلة مثيرة للعقل، فقد شكلا قديما وحديثا حقلا خصبا للدراسة إذ لهما جذور في بطون الكتب الدينية والأدبية على حد سواء.

1/ الموت:

نسمع كثيراً عن أولئك الذين تعرضوا للتعذيب زمن الحروب، والجزائر زاخرة بالشوار الذين مروا بهذه التجربة فيطرح العقل سؤالاً فحواه، إذا كان هذا هو حجم الألم الذي أبقاهم على قيد الحياة، فما الألم الذي سيدوقه الإنسان حتى يموت؟! ثم ان الموت فلسفياً "ينطوي على كثير من المفارقات والتناقضات وهو أيضاً موضوع كربه مزعج لا يشجع على التفكير فيه والحديث عنه فلما رأى الناس أنه لا يمكن علاج الموت سلكوا طريق التناسي لينعموا بالسعادة فقرروا عدم الخوض فيه إلا حين يأتي وممارسة الحياة بشكل طبيعي.⁵

وهذا ما يقلق النفس البشرية، ومن ثمة كانت موضوعة الموت مادة خام للعلماء والمفكرين والفلاسفة والأدباء فتوقفوا عندها وقفة متأمل مدرك، فهو الحقيقة الوحيدة التي لا نعلم عنها شيئاً، الكاتب أحمد طيباوي لم يكن استثناء، بل تقدم نحو الموت وأدلى بدلوه، في شكل لافتات مكثفة الدلالة أبانت عن مدى وعيه بهموم الموت يقول: " الموت يضع نهاية لكل شيء"⁶

نرى أن أول ما رمقه الكاتب في الموت أنه يضع حدا لكل شيء مهما طال الزمان به، وهذه هي حقيقة الموت الأولى التي تنفستها البشرية منذ الخليقة، ثم نجده يغوص في فلسفة الموت أكثر بقوله: "الموت بطريقة جبانة أرحم من مواجهة الألم وأنا أعزل من كل شيء" ⁶ 7 نرى في هذا المقتطف أن الكاتب فضل الموت ولو بطريقة جبانة كالانتحار، على مواجهة ناب الحياة بلا زاد فيكون الألم مضاعفا فهناك كثير من الناس يفضلون الموت على العيش بذل خاصة وسياق حديثه عن شخصية أضناها الفقر لحد لا يتصوره العقل، وهنا نرى أن الحياة أحيانا تكون أقسى من الموت بكثير وبالتالي تنطلق نظرة الانسان للموت من واقعه المعيشي، الذي يختلف من شخص لآخر، فنجم عن ذلك اختلاف التصورات لجدلية أيهما أفضل الموت أم الحياة، بعدها ينتقل بنا إلى ما يعرف بهوم الموت وتداعياته على مستوى العقل المتوسم، فنجده يقترب من معان أكثر تشنجا مثل قوله: "سؤال أكثر حيوية يحاصرني منذ الغروب، من سيحفر القبر؟" ⁸ نجده في هذه اللافتة يتحدث عن جانب من اضطرابات النفس البشرية، التي طالما أقلقها الموت فنجدها تسأل متى أموت؟ وبأي أرض يكون ذلك؟ وماهي الكيفية التي سأموت بها؟ وغيرها من الأسئلة التي يتوقعها القارئ، أو المشهورة عند عموم بني البشر، الكاتب كان استثناء، بطرحه سؤالا غير متوقع من سيحفر القبر؟ فأعطى من خلال هذا السؤال، احتمالات كثيرة جعلته يتصور منظر من ماتوا قبله وكيف حفر مجهولون قبورهم، أو كانوا من المقربين فواروهم الثرى وانفضوا عنهم كأن لم تكن بينه وبينهم مودة، ويبقى السؤال مطروحا يجيب عليه القارئ كيف يشاء، ثم إننا نجد الكاتب يتحدث عن حقيقة الحب بعد الموت وهو موضوع مثير إذ نشعر بمفارقات رهيبة فقد نكره شخصا وتعامله بقسوة حتى إذا مات أشفقنا عليه وعرناه وأحيانا كثيرة لا نقدر قيمة من حولنا حتى يموت فنكشف حجم الفراغ الذي تركه فنلوم أنفسنا على هذا التقصير واللامبالاة وقد عبر الكاتب عن هذه الظاهرة بقوله: "أنا مقصر في زيارة قبور من أحبوني بلا حدود، وكان عليهم أن يموتوا بسبب ذلك." ⁹ من خلال هذا الطرح يتبين لنا أن من أسباب حب المرء للحياة ورفضه للموت، هو ألم الفراق الذي يشعر به المحتضر وأنه سيتعد عن خلانه وأحبابه وكل قريب لقلبه، وما إن يموت ينساه الجميع إلا القليل النادر، فهو بهذا المشهد ورأى أن الموت لم يفرق بين الأحباب وإنما كشف حقيقة ما يدعون، وكأنه يقول للمتلقي لا تحزن على فراق أحد عند الموت فمن سبقوك إليه، قد خذلوا من طرف أقرب الناس إليهم.

2/ القدر:

يعد من المسائل الشائكة في الاسلام وقد أفرد له العلماء بابا يسعى القضاء والقدر، وقد تفرعت عنه فرق كثيرة حيرت كل لبیب، وتوقف عند سره كل فقيه. "إن أهم ما يجب معرفته على المكلف النبیل فضلا عن الفاضل الجلیل ما ورد في القضاء والقدر والحكمة والتعلیل فهو من أسنى المقاصد والایمان به قطب ریح التوحید ونظامه ومبدأ الدین المبین وختامه"¹⁰

المفكرون والأدباء ومن لديهم حس فلسفي لم يكونوا استثناء حيث شكل القدر عندهم صراعا مع العقل البشري وقد أثاروا أسئلة عديدة خاصة في بيان الحكمة منه مثل مؤلف رسالة الغفران لأبي العلاء المعري وتمثل به أبو العتاهية في الزهد، لكننا نجد القدر أكثر حضورا في النص الروائي بتدخلات الكاتب المفاجئة لأحداث نص وقد تعامل أحمد طيباوي بنظرة حادة مع هذه الجزئية محاولا تفتيق عقل القارئ على مستويات إيمانية غيبية يقول: "إنه لن ينجب أولادا لكيلا يحمل وزر العناية به لأحد منهم عندما يكبر".¹¹

يتقاطع الكاتب في هذا القول مع الشاعر أبي العلاء المعري، إذ ذكروا أنه أمر أن يكتب على قبره، هذا ما جناه علي أبي وما جنيت على أحد، وقد اشتركا في هذا المعنى الفلسفي العميق، فقد جربا ضنك العيش ومثالب الحياة مما جعل العدم راحة كبرى والوجود عذاب عظيم إذ لا ينجو من البلاء أحد.

الشيء الذي دفعه إلى عذر المجرمين والجناة فلولا مطرقة الظروف القاسية ما كانوا ليكونوا على ما هم عليه فلا ينبغي محاسبتهم إذ يقول "لم يكن فاسقا لكن الظروف جعلته كذلك"¹² فهو يرى بأنه لا يوجد إنسان حضاري وإنسان فوضوي، بل الظروف هي من تصنع نوع الإنسان، والرواية تحدثنا عن وضع المثقف في البلدان المتخلفة، إذ أن الهيئات المختصة بدل تحسين الظروف تعقاب المخالفين فقط، وهذا يختلف عن الدول المتحضرة إذ أنها لا تكتفي بالوظيفة العقابية وإنما تقوم بتهيئة الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وحتى الثقافية، و تسخيرها لفائدة المواطن، بمعنى هيأت له سبل النظام وأبعدته عن إمكانية الخطأ. وبالرغم من قوة هذا الطرح إلا أن رؤية أحمد طيباوي للقدر مجحفة نوعا ما، حيث يقول بأن المرء مجبر لا مخير، وأنه مكره في تصرفاته، تحت إملاءات الظروف الخارجية لكن هذا لا يمنع من فسحة الاختيار والصبر على صعوبة بعض التكاليف.

رابعاً/ المضمون الاجتماعي

يعالج الكاتب في هذه المقام موضوعات اجتماعية شتى، برؤية معاصرة ومن وجهة نظر نافذة متغلغلة في تركيبة المجتمع الجزائري، وقد اتكأ في ذلك على الدواعي النفسية التي فرضتها الظروف، أو ما يصطلح عليها بالعامل الموضوعي يقول: "أوهمت ممرضة بدينة بأنها فاتنة، المحرومة تصدق حتى مجنوناً"¹³

نرى في هذه اللافتة مدى وعي الكاتب بثقافة الشعب الجزائري، وكيف تأثر بالموضة الغربية التي تقدس نحت الجسد، مما أدى إلى ظهور تمييز عنصري تجاه المرأة البدينة، حيث لم يعد مرحباً بها كزوجة بخلاف ما كان عليه العربي قديماً، إذ كان يفضل المرأة الممتلئة، ثم يعزز من ثقافة القارئ حول عقلية المرأة التي تعاني الحرمان، فهي تصدق من يمدحها ولو كان مجنوناً رغم اقتناعها بأن الواقع شيء آخر، وفي الحقيقة هذه مشكلة العصر، فكل شخص فشل في الحياة يرجع ذلك إلى أسباب واهية ويقتنع بها، ولا يريد أن يقف عند الأسباب الحقيقية، ويصدق كل من لا يحمله المسؤولية ونلمس في هذه اللافتة أهم ركيزة في تكوين شخصية المرأة المعاصرة، وهي أنها إذا أحببت شيئاً اتخذت كل السبل لتحقيقه، ولو على حساب سلطة المجتمع والدين.

أما في باب الصداقة نجد الكاتب يوظف النهايات كعنصر رئيسي لمعرفة الآخر يقول: "لا معنى لأي نشوة عشناها أو سعادة ملأت قلوبنا يوماً إذا كانت نهايتها هكذا"¹⁴. يخبرنا الروائي من خلال هذا المفتطف عن حقيقة علاقاتنا، ويربط صدقها بأجواء النهاية فإذا انتهت بالخصام بين صديقين عاشا طرحة من الدهر ثم افترقا، سيشعر من مر بهذه التجربة أن كل تلك الذكريات المشتركة لم تكن شيئاً وأنها كانت تحت قناع كشفه الزمن، وهذا وعي كبير صدر من الكاتب فجعل من الخاتمة عنصراً فارقاً لمعرفة دفائن من حولنا وهي الميزان العادل لكشف العلاقات المزيفة لذلك اهتمت الشريعة الإسلامية بحسن الخاتمة وأنها علامة على قبول العمل.

ينتقل الكاتب من هذه الدائرة الصغيرة إلى دائرة أكبر وهي المجتمع وعن رؤيته فقد بدا ساخطاً عليه يقول: "الوحدة سيئة ومخالطة الناس أسوأ"¹⁵ في هذه اللافتة يحدثنا الكاتب عن علاقة الفرد بالمجتمع، وهل كل منعزل عنه غير اجتماعي بالضرورة؟ فهو يرى أن المرء اجتماعي بطبعه، لكن مع من تكون اجتماعياً، فالوحدة سيئة حقاً لكن مخالطة الناس أسوء إذ أصبح المجتمع جلاباً للمشاكل والمصائب، لكثرة التنافس وحب المصلحة، والمثقف يعاني في

حواره مع أطيفاف المجتمع الجزائري، خاصة وأن تركيبته النفسية تنفر من أهل العلم، فلا يعاملون بشكل لائق، كما هو مشهور في المشرق العربي، وقد ذكر هذه الميزة أبو القاسم خمار في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي .

خامسا/ الرؤية الفلسفية

بدا الروائي متمرسا في شتى العلوم الانسانية، فهل منها ما يخدم بناء روايته، فكانت بمثابة ألوان رسم بها معالم شخصياته، التي تعارضت في مقامها ورؤيتها، خاصة على لسان البطل الذي بدا وكأن لديه تصادما بين الدين والفلسفة، وأحيانا تقاطعا بينهما يقول: "رميت حجر التيمم في القمامة إن كان قلبه نقياً يكفيه ذلك جدا ليصلي" .¹⁶

يعزز الكاتب من خلال هذه اللافتة من قدرة المتلقي على التحليل واكتساب مناعة نفسية تعرفه بالآخر الذي يتعامل معه في الحياة اليومية، فهو يرى بأن الصلاة ليست معيارا حقيقيا لكشف من حولنا بل القلب السليم هو الفارق والميزان العادل في تمحيص النفوس ومعرفة ما فيها.

يحاول العقل البشري معرفة ما يخبأه الله فيقرأ ذلك من خلال واقعه المعاش ثم يحكم عن العلاقة القائمة بينه وبين ربه وهي متنوعة باعتبار اختلاف العقائد والمذاهب يقول في هذا الصدد: "آمن أخيرا بأن الاله الفلسفي الذي يؤمن به لا يلقي له بالا، تفنن في تعذيبه ثم تركه يواجه مصيره بضعفه وقلة حيلته"¹⁷ في هذه اللافتة معنى عميق، ورؤية تستحق التأمل والوقوف فالإنسان في هذه الحياة إذا حقق نجاحا باهرا يعزيه لنفسه وعلمه وقوة عقله، لكن في فشله يرجع ذلك إلى ربه، فالروائي يخبرنا بهذه القناعة التي سماها الإله الفلسفي، أي ذلك الذي نحاوله ونريد أن نكشف عما يدبره لنا من خلال الأقدار، فهو عنده إله لا يعيره اهتماما بل يتفنن في تعذيبه، ثم يتركه يواجه مصيره الوعر وحده رغم ضعفه وقلة حيلته وهذه النفسية منتشرة بين الناس، وبالتالي تختلف الرؤى حول حكمة الله، فهناك من ينسب له الظلم عياذا بالله وهناك من يعتبر ذلك امتحانا وبلاء وهذا هو الفهم الصحيح وهناك من يعتبر ذلك امتحانا وآخرون يرون أنه مجرد سنة كونية مر بها السابقون وهم الملاحدة."

ينتقل الكاتب بنا من هذا المقرر الفلسفي إلى تصور آخر عن معنى الحياة وما هو الشيء الذي يجعلها أكثر وجودية حيث رأى الكاتب أن كثيرا من الناس يحترف بطريقة باردة قريبة من الموت ليس فيها ما يثير فيقول: "الناس يعيشون حياة بلا معنى، مملوءة بكل شيء ومع ذلك تفتقد للمعنى" ،¹⁸ نرى في هذا القول عمق التجربة الإنسانية على هذه الأرض، التي ملئت من

كل شيء حتى نتذوق تاراتها وأفراحها ونعيشها بمراحلها فنموت ولموتنا معنى، بخلاف الذين عاشوا في فوضى وماتوا في فوضى دون أن يدركوا أن الوجود في هذه الدنيا تجربة فريدة لن تتكرر أبداً، إن هذه اللافتة تلخص معنى كبيراً ورد في الأدب العالمي، حيث هناك قصة دبجتها يراعة الفيلسوف والمفكر والأديب لوي تولستوي "Толстой Лев Николаевич" بعنوان "على ما يعيش الإنسان" ليخلص في نهايتها أننا نفشل في تحديد الأهداف العظيمة، فقولوه: الناس يعيشون حياة بلا معنى أي بدون هدف لذلك على الفرد العربي أن يضع بصمته، فالعالم الغربي تقدم لكثرة بصماته في شتى المجالات، فتجدهم قامة في الأدب والفن وفي باقي العلوم التجريبية، وقد حققوا جوائز عالمية بخلاف عالمنا العربي، إذ لو عددت الحائزين على جوائز نوبل فلن يتجاوزوا أصابع اليد الواحدة، وعليه هذه الرواية تدعو إلى تفتيق العقل العربي، وأنه لابد أن تكون لديه أهداف أكبر حتى نتقدم ولو خطوة إلى الأمام.

سادساً/ البعد النفسي

يطمنن الإنسان إذا اكتسب مناعة نفسية تجاه ما يحيط به وكلما كانت نفسه مضطربة عاش في خوف وهلع لذلك اعتنى العلماء بدراسة النفس البشرية وطرق معالجاتها وأرشدوا إلى السبل المؤدية إلى السواء النفسي وكيفية تحصيله لأن: "دوائر النفس جميعها هي التي تشكل الذات الداخلية العميقة للإنسان، وهي المحركة للسلوك خيراً أو شراً فإن رأيت خيراً فمن ذلك العمق يأتي هذا الخير، وإن رأيت شراً فمن تلك الدوائر يندلع ذلك الشر"¹⁹ لقد اهتم أحمد طيباوي كثيراً بتقلبات النفس البشرية وما تعانيه، فحاول الوقوف عند أغوارها والكشف عن تفاعلها مع الظروف الخارجية، وكيف أنها غريبة الأطوار سحاء التقمص، تحب من يمدحها ويثني عليها وتبغض من ينتقص منها ويزدرها يقول .

"الهم سم قاتل والحياة وصفة حقيقية للعذاب"²⁰ في هذه اللافتة نرى مدى تفاعل الكاتب مع مثالب الحياة، واعتبر الهم سما قاتلاً وأنه بلاء عظيم، والنصوص المقدسة عندنا تخبرنا بهذه الحقيقة فالنبي صلى الله عليه وسلم كان كثيراً ما يتعوذ من الهم والحزن، ثم يحيلنا بأن الحياة هي وصفة للعذاب وأن من اعتبرها غير ذلك سيفزع ويذهل لتاراتها، فهو يريد من القارئ أن يستعد لها نفسياً حتى تكون الصدمة أخف وأن الأصل فيها البلاء لا العافية.

بعدها يحيلنا الكاتب إلى موضوع آخر لا يقل أهمية عنه وهو قدرة النفس البشرية على التكيف مع أصعب الظروف والتخفيف من حدتها يقول: "التجربة تقول أن الحب ليس كل

شيء ، حب ناضج ومتصالح مع الظروف ونصف توضحية قد يصنعان سعادة ما ²¹. يرى الكاتب أن الحب ليس كل شيء، وأن التصالح مع الظروف والتوضحية يحققان السعادة، وهنا يتضح لنا مدى قدرة النفس البشرية على التكيف والتأقلم حتى بعيدا عن الحب والمال، وأنه يمكن للإنسان مسايرة واقعه وفق سياسة الرضى، وأن غير ذلك قد يفضي إلى الغيظ الذي بدوره يدفع الفرد إلى ارتكاب الجريمة أو حتى الانتحار لكننا نجده يعترض على هذا التكيف وأن تحصيله صعب للغاية فيقول: " الحب مع العجز عذاب مضاعف ²²

يتوقف الكاتب في هذه اللافتة أيضا عند جدلية الحب والواقع، وهو يتقاطع مع المثل المشهور إذا دخل الفقر من الباب خرج الحب من النافذة. وهنا نرى مدى قساوة الحياة إذ يمكن للمرء أن يحب فتاة أو يحب الهجرة لبلد ما ولكن الظروف تحرمه، فيعيش معذبا لأن حبه لم يكتمل واقعيًا فالكاتب يريد أن يعكس للقارئ حقيقة مفادها انظر لواقعك قبل أن تقدم على الحب .

تميل النفس البشرية إلى حب التملك وهذا لا يكون إلا بسعة الرزق فإذا ضاقت بها السبل اضطربت وشحبت ثم إذا لم تصبر على ضنك العيش لم تبال بكرامتها فتعذب نفسها بنفسها يقول في هذا الشأن " عشت حياتي أؤدي أدوارا ليست لي " ²³ 22 في هذا القول نجد الكاتب يقف بنا عند بعد نفسي مهول ألا وهو الاستلاب، حيث يتقمص أدوارا مختلفة قهرا، تحت مطرقة الظروف فبطل الرواية عاش عبدا وتارة شحاذا، أكل من القمامة أحيانا أخرى، في الوقت الذي كان يحلم فيه بوظيفة تجعله يعيش كالناس، يبني أسرة و يدفع البؤس عن نفسه، لكن الواقع أزه ليكون غير ذلك وهذا من أصعب ما قد تواجهه النفس البشرية لأنها قد تنتقل من المقاومة إلى التلذذ بتعذيب نفسها وهو مرض نفسي .

سابعا / لتنمية البشرية

دعا رواد التنمية البشرية إلى ضرورة الاعتناء بطاقات الانسان الخفية من خلال تفجيرها لتحصيل ما يطمح اليه الانسان " فاهتم هذا العلم في بداياته بتطوير الاقتصاد و الدعوة إلى تنميته باعتباره مجالا مهما لتحقيق الرفاهية لدى الشعوب ورفع الدخل القومي، لكن في العصر الحديث اهتم هذا المذهب بالتركيز على الفرد ومحاولة إفهامه أنه قادر على تحقيق أهدافه في أحلك الظروف ولعل أهم الكتب التي دعت إلى ذلك نجد كتاب فن اللامبالاة لمارك مانسون " *Mark Manson* " ومؤلف العادات الذرية لجيمس كليز " *James Keller* "

وغيرها من الكتب التي تقنع الناس بأن أحلامهم ممكنة لا يعترها المستحيل !! وفي العالم العربي نجد الدكتور إبراهيم الفقي رحمه الله و الذي دافع بشدة عن هذا المذهب "24" بدا الروائي أحمد طيباوي بنظرته المأساوية ثائرا تجاه المؤيدين لمدرسة التنمية البشرية وتطوير الذات، فصب جام غضبه عليهم، وإن هذا العلم مجرد كذبة كبرى واستخفاف بعقول الناس، وأن ليس له أي دور في تغيير واقع الناس، فهو مجرد ثروة ومحاضرات لا طائل منها، بل هو وسيلة لكسب المال والشهرة، باستعراض تلك الاستثناءات القليلة التي نجحت في مواجهة ناب الحياة، والنأي عن ذكر الغالبية الساحقة التي لم توفق في هذه الرحلة الشاقة، مفتتحا رؤيته هذه بقوله : " كنت أقتات من القمامة كان الناس يجدون أشياء ثمينة، إلا أنا بقايا الطعام ووجدت كتابا عن السعادة فرميته "25" يتكى الكاتب في هذا المقام على تقنية المصادفة أو ما يصطلح عليه بالتزامنية، فيفاجأ القارئ بعنوان لكتاب يدعي جلب السعادة أثناء بحثه عن الطعام في القمامة فيرميه بعيدا، وكأنه يخبرنا بأنه لا داعي لفتح ومطالعته والوضع مزر بل من أي باب تدخل السعادة والجوع سيد الموقف ثم يؤكد هذه الاستحالة مرة ثانية بقوله : " المال وحده يحقق المعجزات "26" نرى في هذه العبارة تأثر الكاتب بالجانب العملي الذي يصنعه المال، بخلاف ما تصنعه الكلمات إذ عدده الوحده القادر على التغيير، وهذا صحيح فكل دعوى أو تيار فكري يراد له الانتشار لا بد له من الإدارة والمال، بل حتى الأمور التي تبدو مستحيلة يجعلها المال طبيعة سهلة وهذا منظور مشهود لدى الناس، لذلك عدده القرآن الكريم من زينة الحياة الدنيا فهو سبب لرد كثير من البلوات وبالتالي هو يحذر المتلقي من هذه الدورات التي تهتم بتطوير الذات وأنها خدعة كبيرة لكن رغم معارضته الشديدة لهذا المنهج إلا أنه لا يعارض وجود حيل نفسية، يذكرها أصحاب هذا الفن وتوظيفها لصالحنا يقول: " عشت أسعد أيامي في القمامة معترفا بأني مجرد قذارة تعيش في مكانها المناسب "27" في هذه اللافتة يكشف الكاتب عن بصيص من الإطمئنان في أحلك الظروف، ألا وهو ضرورة الاقتناع بحظك والرضى به، وأنه إذا لم يكن هناك حل فلابد من التعايش معه، إن منظر القمامة مريع للنفس البشرية، فما بالك بالذي يأكل منها، ونفسه قد جبلت على حب وديان من الذهب ، وبالتالي عليها أن تتقمص شخصية الجرذان لتسعد بهذا النصيب فهي وحدها من يسرها هذا المنظر، وهذا ممكن لمن أدرك كوامن النفس البشرية فهي تخلق أشياء وهمية لتكيف مع ظروفها، فمثلا نجد كثيرا من السجناء الذين وضعوا في زنزانات انفرادية، استنطقوا بعض الأشياء الصامتة

لديهم، أو رسموا أشكالاً على الجدران وكلموها وأحبوها كحيلة نفسية للهروب من الواقع، وهو أفضل حل على الأقل .

الخاتمة:

- يختلف أدب اللافتات عن فن الحكمة، فالأول ينطلق من بواعث نفسية وقد يكون عبارة عن تساؤلات أو خواطر، وأحياناً أخرى مجرد رأي شخصي، بينما الحكمة لها مناسبتها في الغالب تستخلص من حدث مشهور .
- تميزت الرواية بأبعاد فنية وجمالية متنوعة أهمها غياب صورة البطل انطلاقاً من العتبة الأولى فقد جاء عنوان اختفاء السيد لا أحد مشوقاً وهو الشرارة التي سمحت بانتشار مقرونيتهما فنجح من خلاله اعلامياً وأدبياً
- طاولت هذه الرواية روائع الأدب العالمي حيث كان لأحمد طيباوي يد طويلة في تصوير المأساة مقارناً بذلك روايات كبار الكتاب أمثال ليو تولستوي "Толстой Лев Николаевич" و"فيودور دوستوفسكي" "Фёдор Михайлович Достоевский" وهذا ما أهلها لنيل جائزة نجيب محفوظ .
- لغة الرواية تقع ضمن ما يعرف بالسهل الممتنع حيث اعتمد على تراكيب قريبة من الحديث العادي لكنها مفعمة بالحيوية حيث فعل تقنية الغياب والغموض والنهايات المهمة والمثيرة للشخصيات الشيء الذي أدى إلى لفت انتباه القارئ فأصابه بنوع من القلق واستغلال غريزة حب الفضول لديه مما يدفعه لإكمال هذا المنجز حتى النهاية
- شكلت المأساة مادة خام لتضاعيف هذه الرواية حيث حبلت بأنواع البلايا والهموم وزاد من ضراوتها أن من تحملها شخصية تملك شهادة جامعية فأبانت الرواية عن واقع المثقف الجزائري خاصة بعد العشرية السوداء
- أعطت لافتات أحمد طيباوي وعياً إضافياً للقارئ فهي خلاصة لتجارب مريرة تعكس نفسية وواقع المجتمع الجزائري
- تنوعت مضامين هذه اللافتات بين دينية واجتماعية وأخرى نفسية حيث عالج من خلالها موضوعات شتى كالموت والقدر و البطالة والفقر وعن فلسفة السعادة في ظل واقع أقل ما يقال عنه أنه لا يطاق.

- إن هذه اللافتات في الحقيقة كانت بمثابة فيفساء زينت صفحات هذا العمل الإبداعي المميز فكسر من خلالها عملية السرد وأعطى للقارئ وقتاً يتوقف فيه عند ظلالها الوارفة المعاني .
- رغم تنوع المضامين إلا أن هذه اللافتات تقاطعت في نقطة مهمة وهي التعبير عن الواقع المأساوي للمثقف والكشف عن حقائق النفس البشرية.
- تميزت لافتات أحمد طيباوي بالسخرية، حيث عبر بها عن مفارقات عديدة مشحونة بالقلق، كما تميزت بأسلوبها المشوق الذي اتكأ فيه على الاستفهام والتعجب وبعض الصور البيانية .
- ناهض من خلال هذه اللافتات رواد التنمية البشرية، حيث بدا ساخطاً على مؤلفاتهم وأن كلامهم شيء والواقع شيء آخر .
- دعت لافتات أحمد طيباوي إلى تقبل الواقع والرضى به، أما نظرته للذات الإلهية فقد حبلت بأسئلة فلسفية ودينية مثيرة للعقل، بلغت حد الإجحاف والتجاوز ولعل الباعث عليها هو الحرمان والفقر المدقع ، الذي جعل لسان البطل يصدق بمثلها .

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب:

- [1] أحمد طيباوي، رواية اختفاء السيد، لا أحد منشورات ضفاف ومنشورات الاختلاف الجزائر ط1 سنة 2019.
- [2] تايش محمدي، التنمية البشرية مكتبة نور الالكترونية ط 1 سنة 2020 .
- [3] جواد بحر، عالم الأنفس النشة مطبعة بابل الفنية لحلول فلسطين ط 1 سنة 2006.
- [4] شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل المكتبة التوفيقية القاهرة مصر د. ط .
- [5] عبد المجيد قطامش الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية، دار الفكر، دمشق سوريا، ط 1، سنة 1988 .
- [6] مبروك أمل، فلسفة الموت دار النشر التنوير بيروت لبنان ط 3 سنة 2011 م.

المجلات:

- [1] دينية لويزة مكسح، الأمثال والحكم الشعبية، دراسة سوسيو مجلة العلوم الاجتماعية و الانسانية جامعة باتنة العدد العاشر سنة 30 جوان 2015 .

المواقع الإلكترونية:

- [1] موقع ويكيبيديا <https://ar.m.wikipedia.org/wiki>

الهوامش:

- * المؤلف المرسل.
- ² ينظر إلى موقع ويكيبيديا <https://ar.m.wikipedia.org/wiki>
- ³ الأمثال والحكم الشعبية دراسة سوسيو دينية لوزة مكسح مجلة العلوم الاجتماعية و الانسانية جامعة باتنة العدد العاشر سنة 30 جوان 2015 ص 370
- ⁴ عبد المجيد قطامش الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية، دار الفكر، دمشق سوريا، ط 1، سنة 1988، ص 22
- ⁵ ينظر فلسفة الموت مبروك أمل دار النشر التنوير بيروت لبنان ط 3 سنة 2011 م ص 8
- ⁶ رواية اختفاء السيد لا أحد أحمد طيباوي منشورات ضفاف ومنشورات الاختلاف الجزائر ط 1 سنة 2019 ص 13
- ⁷ المرجع نفسه، ص 28
- ⁸ المرجع نفسه، ص 48
- ⁹ المرجع نفسه، ص 57
- ¹⁰ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية المكتبة التوفيقية، المرجع السابق، ص 7
- ¹¹ رواية اختفاء السيد لا أحد أحمد طيباوي، المرجع السابق، ص 18
- ¹² المرجع نفسه، ص 99
- ¹³ المرجع نفسه، ص 22
- ¹⁴ المرجع نفسه، المرجع نفسه، ص 58
- ¹⁵ المرجع نفسه، ص 7
- ¹⁶ المرجع نفسه، ص 15
- ¹⁷ المرجع نفسه، ص 80
- ¹⁸ المرجع نفسه، ص 84
- ¹⁹ عالم الأنفس جواد بحر النشة مطبعة بابل الفنية لحلول فلسطين ط 1 سنة 2006 ص 5
- ²⁰ رواية اختفاء السيد لا أحد أحمد طيباوي المرجع السابق، ص 96
- ²¹ المرجع نفسه، ص 86
- ²² المرجع نفسه، ص 86
- ²³ المرجع نفسه، ص 13
- ²⁴ ينظر التنمية البشرية ستايش محمدي مكتبة نور الالكترونية ط 1 سنة 2020 ص 8
- ²⁵ رواية اختفاء السيد لا أحد أحمد طيباوي، المرجع السابق، ص 36
- ²⁶ المرجع نفسه، ص 96
- ²⁷ المرجع نفسه، ص 57.